قصة : إرم ذات العماد

للكاتبة/*أسماء رضا عبدالعليم*

المقدمة :

كل ارتقاء ، و نجاح يليه هبوط قد يطول او ارتقاءً آخر قد يكون هو العاقبة هذا ما نعلمه نحن ، و ما جهله او تجاهله اقوام القصور الغامرة فكانت قصصهم خير دليل قصتنا تدور حول نبي ، و قوم ، و مدينة مدينة عظيمة من سكنها يقال انهم جبابرة قوماً احدثوا جدلاً في التاريخ هم و مدينتهم التي اقرب ما تكون الي الخيال لعظمتها طغوا ، و تكبروا ، و اختفوا هم ، و مدينتهم و بقى امرهم لغزاً من ألغاز التاريخ الغامضة من هم قوم عاد ؟! و من بنى مدينة إرم ذات العماد الجدلية ، و ما قصتهم مع نبي الله هود عليه السلام ؟

(1)

«صفات قوم عاد»

تبدأ قصتنا بقوم عاد ، و هم الذين بحسب المؤرخين ، و المفسرين يعود نسبهم الي عاد بن إرم بن سام بن نوح و هم اوائل الاقوام التي سكنت الارض بعد طوفان نوح ، و الذين عرفوا بقوتهم البدنية ، و منّ الله عليهم بنعم كثيره فكانوا ذي نعمة أراضيهم خضراء خصبة تفيض بالمياة يملكون الكثير من الماشية ، و الدواب ، و قد مكن الله لهم في الارض ،و دلالة ذلك ؛ أنهم كانوا ينحتون البيوت في الجبال ، فشيدوا المباني ، و المصانع العظيمة ، و القصور الشاهقة التي زينت بكل ما يدل على الترف ، و الرفاهية ، و اذدادوا في تكبرهم ، و إعجابهم بأنفسهم الي حد أنهم كانوا يبنون المباني الشامخة على الجبال ، و التلال ، و في الصخور الصلبة ! ، و بحسب ما ذكر الينا قاموا بتشييد احدى اكبر المدن ، و أعظمها بنينا ! إنها مدينة إرم ، و الأهم من كل هذا فقد منحهم الله عز و جل اهم ما يملك الانسان "الصحه" فكان هؤلاء القوم أصحاء أقوياء ، و في تمام العافية بل انهم لم يكونوا مثل البشر العاديين في عصرنا هذا فقد كانوا ضخام البنية شاهقي الطول أقوياء أشداء لا يهابون شيئاً كل هذه السمات جعلتهم يغزوا في الأرض ، و يحكموا الممالك بالقوة نتيجة لهذه القوة ، و المواد التي حصلوا عليها من بقاع الأرض ، و برغم كل هذه النعم التي منّ الله عليهم بها إلا أنهم جحدوا ، و كفروا ، و اتخذوا لأنفسهم الهه غير الله عز ، و جل ، و عبدوا الأصنام فكان لهم من الاصنام ثلاث : صدى ، و صمود ، و هباء...

«نبي قوم عاد »

عسى قوم عاد في الأرض أفساداً ، و جبروتاً فكان إرسال الله لنبي الي تلك الأمة أمر مفروغاً منه ، فأرسل الله لهم رجلاً منهم يدعوهم لتوحيد الله ، و ينهاهم عن ما هم عليه من معاصي ، و شرك ، و يذكرهم بنعم الله عليهم التي قد تزول بطرفة عين هذا النبي كان هود عليه السلام الذي ذكر نسبه حسب المؤرخين ، و المفسرين انه هود بن شالخ بن قينان بن ارفخشد بن سام بن نوح لينتهي نسبهم لشيث بن ادم عليه السلام ، و على الجانب الآخر قد ذُكر النبي هود في كتب العهد القديم ، و تحديداً النصوص اليهودية القديمة بنفس النسب ، و لكن بأسم عابر ..

«موقف قوم عاد من دعوة نبيهم »

عُرف نبي الله هود في قومه ، و هو منهم ، و هذا ذكر في سورة الشعراء ، و هود ، و الأعراف ، و الاحقاف حيث ذكر النبي هود بأنه اخو عاد ، و هو ما يُعرف بالانتماء الي نفس القبيلة نعود الي نبينا الذي بدأ بالدعوة الي التوحيد ، و ترك عبادة الأصنام ، و كحال الأمة الجاحدة قُبل بالرفض ، و الأذى ، و مع ذلك بقى لين التعامل مع قومه حسن المنطق حليم الخُلق ، و بعد أن نفذت حججهم أخبروا نبيهم أنهم يخافون من أن تصيبه آلهتهم بسوء ، و ظلوا معاندين ، و مستكبرين عن الحق مع إنذاره لهم بعقاب الله فقد استمر هود في ترغيبهم تارة في جمة الخلد ، و ترهيبهم تارة أخرى في عذاب الله في الدنيا كما حدث مع قوم نوح قبلهم ، و بعذاب الآخرة الذي ينتظرهم..

و رغم كل القوة ، و الطغيان التي تمتع بها قوم عاد إلا أنهم لم يستطيعوا مسّ هود عليه السلام بأي أذى ، و لو بمقدار جناح ذبابة ، و هو ما اعتبره المفسرين معجزة هود عليه السلام ، و قد وصل الأمر بهود الي أنه طلب من قومه أن يسألوا أصنامهم ، و آلهتهم إلحاق الاذى به ، و بالطبع لم ينل هود اي سوء ، فالحجر لا ناقة له ولا جمل...خلال سنوات دعوة هود استمر قوم عاد في تشييد مدنهم الضخمة ، و اهمها إرم ذات العماد قصة تشييد تلك المدينة كانت ، و ما زالت موضع جدل لنبدأ بالقصص الواردة لنا من كتب التفاسير و القصص القديمة...

(5)

«ملوك الاحقاف»

تقول القصة أن قوم عاد ينسبون الى ملك يسمى عاد نال الحكم بعد وفاة الملك عاد الى ولدين له سموا شديد ، و شدّاد هذان الملكان أكملا الفساد ، و الحروب حتى قُتل في احداها شديد ليئول الحكم بالكامل الى شدّاد بن عاد ، و بحسب الروايات كان شداد ملكاً جباراً طاغياً ...

«مدينة إرم»

و بالطبع لم يؤمن بدعوة هود ، و بحسب الروايات فإن شداد لما سمع بجنة عدن التي يعد فيها من يؤمن قرر بناء مدينة تضاهي هذه الجنة ، و يأخذ قومه بعد الفراغ من بنائها للعيش فيها فيكونوا بهذا قد كسب هوداً بدعواه ، و بالفعل بدأ شداد بناء المدينة المنشوده ، فأرسل جنوده في بقاع الأرض ، و الى الممالك التي تخضع لحكمه يطلبون الغالي ، و النفيس من احجاراً ، و اخشاباً ، و نفائس المعادن ، و ما خبئ في جوف الأرض من كنوز فكان لهم اراض بدأ بناء المدينة ذات الأعمدة الضخمة مرصعه بالاحجار الكريمة كحال جدرانها ، و اراضيها فرصعت المدينة بالذهب ، و الفضة ، و زينت بالياقوت ، و الزبرجد ، و بالطبع عمل شداد على تزويد هذه المدينة العظيمة بكل مصادر المياه فكانت الأنهار تجري بين ازقتها ، و شوارعها ، و الأشجار الكثيفة المختلفة تنتشر في طول المدينة ، و عرضها ، و لم يترك شداد مظهراً من مظاهر الترف إلا ، و زود مدينته به بحسب الروايات استمر بناء المدينة على أقل تقدير عشر سنوات ، و بالطبع بعد الانتهاء من بناء المدينة او الجنة كما سماها شداد جمع قومه بغية الرحيل ، و السكن في إرم ليحدث ما لم يكن في الحسبان ...

(٧)

«جزاء قوم عاد»

إذاً شداد جمع قومه بغية الرحيل الي مدينته المنشوده ، و في المطلب الآخر كان هوداً يحذر قومه من العذاب الآتي لا محاله ، و هم يديرون الاذن الصماء لتحذيرات نبيهم حتى اتاه وحي الله أن العذاب حق على قوم عاد فأمر الله عز ، و جل نبيه ألا يقرب هو ، و من آمن معه المدينة كي لا يمسه منها شئ فهي فانيه لا محاله ، و بالفعل ابتعد هود ، و المؤمنين عن المدينة ، و أعينهم شاخصة تنظر عذاب الجبار الذي حل فقبل دخول شداد ، و قومه الي جنته بدأت بوادر العذاب ، فأرسل الله عزّ وجل ريحاً قوية حاول القوم الاحتماء منها بحفراً عميقة ، و ملاجئ كانوا قد نحتوها تحت الأرض إلا أن الرياح كانت تبلغ من القوة أن اقتلعت الحفر بمن فيها فكان المرء منهم مع كل ضخامته تتقاذفه الرياح من جهه الي اخري كريشة طائر ، و بلغت قوة الرياح ، و شدتها أنها قطعت رؤوس القوم ، و ايديهم بحسب الروايات ، و التفاسير المختلفة ، و بالطبع هذه الرياح اقتلعت البيوت ، و القصور المشيدة ، و هدمت المصانع ، و المباني الشاهقة ، و بحسب بعض التفاسير فإن هذه الرياح جافة ، و من جفافها كانت رياح محرقة اتت على كل مظاهر الحياة في مدن عاد فجعلتها هميد استمرت الرياك الغير طبيعية سبعة ليالي ، و ثمانية أيام ليقف هبوب الرياح ، و تختفي إرم ذات العماد تحت الرمال الكثيفة دون أثراً يبقى اما قوم عاد الجبابره فقد اضحوا قوماً مقطعين الرؤوس ، و الأطراف بعد أن تقاذفتهم الرياح كأعجاز نخلاً خاوية ، و نجىّ الله هوداً ، و من آمن معه من العذاب الأليم..

«عابرات»

هذه المدينة ،وقصتها ذكرت في أكثر من موضع في القرآن الكريم فنجد لها ذكراً في سورة : الاحقاف ، و الحاقة ، و الشعراء ، و هود ، و الاعراف ، و الفجر ، و بالطبع تناولتها الاحاديث النبوية في سير الامم الغابرة ليكن قوم عاد عبرة لكل امة اتبعتها ....

...النهاية...

...تمت بحمد الله....

...للكاتبة:*أسماء رضا عبدالعليم*